

على الخلاف

# حلب: متى يفتح باب الفرج؟

لسنوات طويلة صارت حلب الحرب. صحيح أنها لم تهزمها بعد، لكنها لم تنكسر أمامها أيضاً. «الامر الواقع» قسم المدينة بين «أحياء شرقية» تحت سيطرة المسلحين، و«غربية» تحت سيطرة الدولة السورية. السكان في كلا الطرفين دفعوا هن دماهم ثمناً باهظاً، وما زال الجميع يُعني النفس بأن يقطف «الفرج» ثمناً لصبر طال كثيراً

حلب - صهيب عنجرتي،  
إيلي حنا

تخترق السيارة الأوتوستراد بين عشرات الشاحنات والحوافز البادية الممتدة على الجانبين تُصفي نوعاً من السحر الغامض على المشهد: شريان حياة بين «صفتي» خطر. طريق «أثريا - حناصر - حلب» المشهور بإغلاقه المتكرر بفعل هجمات المسلحين يواصل اليوم إغراق المدينة بالمسافرين والبضائع، ويبدو أن إخراجها من الخدمة بات شبه مستحيل. منذ حوالي شهر صارت لهذا الطريق مواعيد إغلاق وفتح يومية منتظمة: يُسمح بمرور آخر السيارات قرابة الثامنة مساءً، ليعاد فتحه في الثامنة من صباح اليوم التالي. تنظيم الحركة بهذه الطريقة يبدو أحد الإجراءات المتبعة لوضع حد لجرائم الخطف والنهب التي لطالما أُرقت أبناء حلب. عشرات الحوافز الثابتة و«الطنارة» التي كانت تحترق تلك الجرائم تحت اسم «الدفاع الوطني» لم يعد لها وجود، وعُهد بالطريق إلى الجيش وحلفائه. هنا تُطالع الحرب السورية بتلاوينها: نقاط الجيش السوري وأخرى لـ «الأصدقاء» (التسمية التي ستمعها كثيراً في حلب كناية عن

الدمار يستمر لدقائق قبل أن تنتقل إلى «حلب أخرى». تحزن المشاهد السابقة في ذاكرتك، لتفتح عينيك على أخرى مكثفة وسريعة. الشوارع تضج بحركة الناس في المقاهي والأسواق. رغم ذلك يبدو البحث عن رقعة أمان أمراً صعباً.

الحرب لا تُفسد  
لـ «النظافة» قضية

الاكتظاظ هو السمة الأبرز لمعظم الأحياء الغربية من الفرقان إلى الأعظمية والجميلية وغيرها تجنب الازدحام يبدو مهمة مستحيلة. لا يُعبر الحلبيون اهتماماً كبيراً لأصوات آلة الحرب التي لا تهدأ، الجميع «تاركها على الله» وماض في تدبر أمور حياته التي قد تنتهي في أي لحظة. في حي الجميلية (حيث القذائف تضرب موعداً شبه يومي) يُمكنك أن تتابع كل ما يلزمك وأنت تعي أن القذيفة «المنتظرة» جزء من المجازفة المعتادة. لا بأس، ما دام الأهالي يعيشون «كل يوم بيومه». تواصل البسطات احتلال الأرصفة والطرق، الباعة ينادون على بضائعهم: السمك بجانب الألبان ومشتقاتها والخضرة والفواكه والثياب والمنظفات. عشرات الأنواع من المنظفات المصنعة محلياً والمعابة في أكياس عادية من النايلون الشفاف ما زالت قادرة على توفير خيارات واسعة لربة المنزل الحليبية التي تشتهر (من ضمن صفات أخرى كثيرة) بهوسها بكل ما يتعلق بالتنظيف والنظافة. للوهلة الأولى سنبذو وفرة الخيارات أمراً غريباً، لكن من خبر حلب وأهلها لن يكون متفاجئاً، فالحرب التي دمّرت آلاف المصانع لم تستطع أن تدمر العقلية الحليبية المولعة بـ «ابتكار الحلول». تصنيع مواد التنظيف مثلاً لا يحتاج في نظر أبو عبود (المستاجر)، وكم برميل، وشوية مواد. إيشو هي كيميا؟»، نصحك ويضحك معنا، فهو يدرك تماماً أنها بالفعل «كيميا»، لكنها أسط من أن تستعصي على أبناء مدينة نالت بجدارة لقب «يابان سوريا». انعكاس «هوس النظافة» على المدينة بالعموم يبدو أمراً بديهياً، وباستثناء اكوام الأتربة التي قد تطالعك هنا أو هناك فإن نظافة الشوارع والأحياء لم تتأثر بكل ما تشهده المدينة.

حلفاء الجيش). «داعش» عن يمين الطريق و«النصرة» وأخواتها يساراً. الطعام والدواء والمقاتلون يعبرون من هنا إلى مناطق سيطرة الدولة السورية في «أخطر مدن العالم»، فيما تشخ المخازين في الأحياء الشرقية الأخذة بالخروج عن سيطرة المسلحين تدريجياً بعدما أحكم «الطوق» وانعدمت الموارد. تُخلف البادية وراءك لتصل السفيرة (بتسكين السين) حيث «معامل الدفاع» الشهيرة. يلزمك أقل من نصف ساعة بعدها لتصل إلى المنطقة الأكثر شهرة في الأسابيع الماضية: الراموسة، حيث لا شيء سوى الدمار و«طريق أمن» إلى الجزء الغربي من حلب، ومغلق بالكامل إلى الجزء الشرقي. على وقع «الحرب العالمية» التي دارت في هذه البقعة كان وزير الخارجية الأمريكي جون كيري قد كرر عشرات المرات الحديث عن «معبر الراموسة»، ليرد نظيره الروسي سيرغي لافروف من الكاستيلو! هل يعلم رئيس الدبلوماسية الروسية أن ما يتكلم عنه هو مطعم اتخذ الطريق اسمه شعبياً؟ مجرد مطعم مُقفّل من سلسلة معامل وفنادق ومعالم محتها الحرب. بعد الراموسة، التدقيق في حجم

«قبي عطيني... وفي الحرب  
ارميني»

الكون تشغله حلب فيما أهلها يبحثون عن لترات من الماء وأمبير كهرباء وعودة آمنة إلى منازلهم. وعلى امتداد سنوات الحرب اعتادت المدينة أن تكون دائماً في انتظار خبر/ بشري. الخبر المرتقب كان قبل أسابيع قليلة يتعلق بالماء والكهرباء فحسب، لكن مع اشتعال المعارك حول طريق الراموسة - شريان الحياة مع «الخارج»، واشتداد المعارك في



قبل أن تحط الحرب رجالها كان حيّ باب الفرج جزءاً أساسياً من وسط البلد (أ ف ب)

في الوصول إلى اتفاق بين جميع الأطراف يضمن إدخاله لتشغيل مولدات الديزل وتشغيل المحطة المتوقفة منذ فترة في ظل انعدام موارد الكهرباء، لكن العراقيين رافقت العملية «حتى آخر نفس» كما يحصل في معظم المرات. لا تبدو القضية سهلة التحقيق، والمستفيدون من ذلك كثر. صهاريج المياه الدخيلة على المدينة تجوب أحياءها لتسد حاجة فرضتها الحرب. وعلى أعمدة الكهرباء تتوزع علب اشتراكات المولدات، وهذه حكاية أخرى من مآسي الحلبيين

الأحياء الشرقية أضحي الترقب مزدوجاً، وخاصة مع ارتباط وجود المياه بالمحطة الرئيسية الواقعة تحت سيطرة «جبهة فتح الشام/ النصر» في حي بستان الباشا. «إن شاء الله يتحلّ قصة المي اليوم؟» يسأل رجلٌ خمسيني مجموعة متطوعين يستعدون لإدخال المازوت نحو محطة المياه، فيما عناصر «النصرة» مستنفرون على بعد عشرات الأمتار. كان من المفترض أن يجري إدخال المازوت قبل ساعتين، بعدما أفلحت وساطة «مبادرة أهالي»

و«الأمبيرات». في ساعة متأخرة من ذلك اليوم نجحت الوساطة أخيراً، وتمكّن المتطوعون من الحصول على «دخول آمن» لمواكبة تفريغ المازوت وتشغيل المحطة، لتستيقظ المدينة صبيحة اليوم التالي على «عودة المياه إلى أنابيبها» من دون أن يغامر أحد في التفاؤل باستمرار الحال هكذا.

هك تحدف «ساعة الفرج»؟

قبل أن تحط الحرب رجالها هنا، كان حيّ باب الفرج الشهير جزءاً أساسياً من «وسط البلد». لم تبق الحرب شيئاً من ازدحام «السنين الخوالي». تدريجياً تحوّلت المنطقة إلى خط تماس يفصل بين مناطق سيطرة المسلحين في أحياء المدينة القديمة، ومناطق سيطرة الدولة السورية. وبالتناسب مع تزايد أعداد القذائف والصواريخ الآتية من الأحياء الشرقية بدأت وتيرة الحياة في الانخفاض على امتداد المساحة ما بين مدخل سوق «الثّل» الشهير مروراً بباب الفرج وصولاً إلى باب الجنان (يلفظها الحلبيون: باب جنين). ساعة باب الفرج الشهيرة متوقفة، مع أضرار بسيطة طاولتها. تجاوز عمر برج الساعة حاجز المئة عام، ويعود بناؤه إلى عام 1900 في عهد السلطان عبد الحميد. ويُقال إن الساعة أنشئت بمناسبة زيارة إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني مدن السلطنة، وفي رواية أخرى «بمناسبة مرور ربع قرن على اعتلاء السلطان عبد الحميد العرش». المؤكد اليوم أن حلب لم تعد من «مدن السلطنة البائدة»، ودفعت أثماناً باهظة لتبقى بعيدة عن «حلم السلطنة الجديدة». لا وجود لباب الفرج بمعناه التاريخي، فالباب الذي كان واحداً من أبواب المدينة العريقة كان قد هدم قبل أكثر من قرن.

## مطبخ وتسميات



للطعام والمطاعم ثقلاً خاص في حلب. عرافة المطبخ الحليبي تفرّض حضورها أينما تناولت طعامك. في كل حي هناك عشرات الخيارات التي تتيج لك أن تتلذذ بوجبة استثنائية. ثمة وجبات ترتبط بالمطبخ الحليبي دون سواه، مثل «اللحمة بكرز»، و«الكباب ببانجان (بانجان)»

و«الكبة بسماقية». أحياء ومناطق بأكملها سُميت على اسم مطاعم شهيرة لطالما استقطبت الزوّاد، حتى غدت مقصدهم الأبرز في المنطقة. واستولت على اسمها. حي «الموكامبو» الشهير واحد من أبرز تلك الأحياء. وتعود هذه التسمية الشعبية إلى «نادي الموكامبو العائلي» الذي أنشئ في خمسينيات القرن الماضي. الأمر ذاته ينطبق على طريق الكاستيلو الشهير الذي ذاع صيته في الحرب، أمّا اسمه فمستمد من اسم مطعم «الكاستيلو». تماثله في ذلك منطقة «السيقان» (المتاخمة لدار الجنود) التي استعادها الجيش أخيراً، وتعود تسميتها إلى اسم مطعم «سيقان» أحد المطاعم الصيفية الشهيرة أيام السلم.